الأستاذ : د/ عبد السلام صحراوي.

المقياس: مدخل إلى الآداب العالمية.

السنة الثانية ليسانس .

الشعبة : دراسات أدبية . المجموعة 02.

المحاضرة رقم 05.

شاعر تشيلي وأمريكا اللاتينية

بابلو نيرودا (1904- 1973م).

Pablo Neruda

هو شاعر " تشيلي" الذي غدا الصوت الناطق بلسان أمريكا الجنوبية كلِّها في سعيها الطويل والشاق نحو التحرر من الاستعمار والاستبداد، وفي سبيل تحقيق العزّة والكرامة الإنسانية..هذا الصوت الذي كان ولا يزال من أبرز أصوات المقاومة في القرن العشرين..

" بابلو نيرودا" هو صاحب قصيدة الطويلة " إسبانيا في القلب " وهي القصيدة التي نقلها إلى اللغة العربية مع قصائد أخرى له ، عن الأصل الإسباني ، " ماهر البطوطي " (المحرّر والمترجم والمراجع بهيئة الأمم المتحدة – سابقًا- في نيويورك) ، وصدرتْ سنة 1997 عن الهيئة المصرية للكتاب ؛ ونيرودا أيضًا، هو صاحب جائزة نوبل للآداب لعام 1971م.

ونيرودا كذلك، هو شاعر الالتزام السياسي اليساري ، والمناضل الشرس الذي شارك في الحرب الأهلية الإسبانية ، وعرف في بلاده معاناة السجن والمطاردة .. وهو في هذا الأمر يشبه شعراء المقاومة الفرنسيين مثل " لوي أرجون " و"إيلوار " ، وشاعر تركيا الكبير " ناظم حكمتْ " والشاعر اليوناني " رتسوس " وشعراء المقاومة في الأرض المحتلّة في فلسطين. . ولذا فقد كتب الشاعر الفرنسي " لوي أراجون " عن قرينه في الكفاح " بابلو نيرودا " موجّهًا إليه التحية ، قائلًا:

لقد كانَ قنْصُلًا في مدريد

وكانَ في السادسة والثلاثين من عمره

عندمَا أحالتْ النارُ السماءَ الزرقاء

فوقَ شبه الجزيرة ، إلى سماء قانية

وغمر الدمُ في غرناطة عبير البرتقال

عندما انطفأتْ أنغامُ " أبو الحنّاء " المبحوح

هذه هي نهاية لعبة " طيران الحمام "

هو ذا أنتَ كما هو أنتَ

وهناك تنتظرُك تشيلي...

(من كتاب: " بابلو نيرودا " للكاتب الفرنسي جان مارسيناك ، ترجمة أحمد سويد).

ويوجد باللغة العربية كتاب : " نيرودا شاعر الحب والنضال " للدكتور الطاهر أحمد مكّي، كما ترجم له ميشال سليمان ملحمة " رياح آسيا "وهو الكتاب الذي كتب مقدمته عبد الوهاب البياتي . وقام البياتي أيضًا بترجمة بعض القصائد لنيرودا في كتابه " رسالة إلى ناظم حكمتْ وقصائد أخرى " . كما ترجم له أيضًا ماهر البطوطي " عشرون قصيدة حب وأغنية يأس " وهو الكتاب الصادر في طبعته الثانية عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام1994م.

ومضات ومحطّات في سيرة حياة نيرودا:

وُلِدَ "نيرودا" عام 1904 لأب من عمال السكة الحديدية، نشأ في أقاليم جنوب تشيلي البرية في " تيموكو " وفيها تعرف على الشاعرة "جابريللا ميسترال" التي قُدِّر لها فيما بعد أن تحصل على جائزة نوبل عام 1945 . وفي 1921 انتقل إلى مدينة " سانتياجو " ليدرس في كلية المعلمين ويصبح أستاذا للغة الفرنسية . بلغ الشهرة بين عشية و ضحاها فور نشر ديوانه "عشرون قصيدة حب وأغنية يأس" عام 1924. عين قنصلا لتشيلي في " بورما " ثم " سيلان " ثم " جاوة " ثم " سنغافورة ". تزوج لأول مرة عام 1930.عيِّن قنصلا لتشيلي في" بوينس آيرس " (حيث التقى بلوركا) ثم في برشلونة ومدريد. على أنَّه ما لبث أنْ طرده أنصار االجنرال "فرانكو" من منصبه، فعاش في باريس ردحا من الزمن. زار في1939 أطلال شعب الإنكا في بيرو، وانعكس ذلك على شعره.فُصل من عضوية مجلس شيوخ تشيلي عام 1948 واضطر للاختفاء عن أعين الحكومة، عابرا جبال الأندير على ظهر جواد. قام بأسفار كثيرة في أوروبا وأمريكا الجنوبية، ثم عاد إلى تشيلي حيث استقر مع زوجته الثالثة. رشح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية، ولكنه تنازل عن الترشيح ليخلي المجال لصديقه (سلفادور أليندي) الذي فاز بالمنصب وعيَّن نيرودا سفيرا لبلاده في باريس.و حين حدث الانقلاب العسكري الذي أطاح بأليندي في "سنتياجو" عام 1973 توفي نيرودا بعدها باثني عشر يوما وقد رأى كلَّ آماله من أجل وطنه تتقوض .

أهمّ دواوين وأعمال نيرودا الشعرية:

من أهم دواوين نيرودا ديوانه المسمّى "الإقامة على الأرض" في ثلاثة أجزاء، وهي ثمرة فترة من العدمية الروحية. فالشاعر يرى الخبرة البشرية بلا معنى لأنّ الإنسان يعيش في الزمن، وهو معرض للتدهور والاضمحلال. وتحاول القصائد أن تنقل إحساس الشاعر بهذا العماء عديم المغزى.على أنَّه، حتى في أعماق يأسه، يجد عزاء في عالم الطبيعة و النبات. وكان نشوب الحرب الأهلية الإسبانية ثم الحرب العالمية الثانية إيذانا بتغير موقفه الأيديولوجي: فقد غدا ينظر إلى الشعر لا على أنه تسلية للنخبة، و إنّما على أنّه تقرير للتضامن البشري يهدف إلى تبني قضايا البسطاء.

" النشيد العام " أو الأنشودة العامة " لنيرودا:

ومن أولى ثمار هذا التغيير في موقفه ديوانه المسمى " النشيد العام"(1950) أو الأنشودة العامة ،وهي قصيدة ذات أبعاد ملحمية شرع ينشر أجزاء منها منذ عام 1947 ، وهي تمثّل ديوانا ضخمًا ، وهو عمل مخيفٌ من حيث رؤياه ، بدأه نيرودا في 1937 ونشره كاملا في مدينة مكسيكو في عام 1950 وقد عانق هذا العمل حياة بلاده ، وقارته في أشكال متنوّعة من النَّظْم .احتوت واحتفلتْ بالإشعاع الإعجازي لبلدان أمريكا الجنوبية (أمريكا اللاتينية)، تاريخًيا وجغرافيا واجتماعيا وسياسيا. كان ينوي أنْ يجعلها أنشودة لتشيلي ولكنها نمت بين يديه، وازداد أفقها طموحا حتى غدت ترنيمة لأمريكا العذراء بحيوانها ونباتها وفاتحيها وشعوبها. إنها تتتبّع تاريخ أمريكا اللاتينية ، والصراع الطبقي فيها، بل والسياسة العالمية وروسيا وأمريكا. وخير أجزاء هذه القصيدة هو ما يصف المنظر الطبيعي للقارة ويتأمل عظمة وسقوط حضارة ما قبل كولمبس. ومن المؤكّد أنّها ستظلّ أعظم قصائد أمريكا اللاتينية ، إنّ روحها معبَّرٌ عنها ببساطة نيرودا المألوفة في مقولته :" سينتصر شعب تشيلي ، ستنتصر كلُّ الشعوب ". وهذه المقولة تختصر كلّ أحلام نيرودا وأحلام شعوب أمريكا اللاتينية وشعوب العالم قاطبة.. وفي الخمسينيات نشر قصيدة عنوانها "الأناشيد الأولية" موجهة إلى الإنسان العادي.

ظل نيرودا دائما شاعرا غزير الإنتاج، متفاوت المستوى، ولكن لا نزاع على أنَّه- مثل " وتمان " الأمريكي- قد تمكن من أن يرسم صورا بانورامية لبلاده وينطقها بعد صمت. وله شعر غزلي ذو حسية صريحة عارمة، وقصائد سريالية، ولكنَّ عمله زاخر بصور عمال المناجم، والفضة والقصدير والنحاس والجير والكبريت،مما ينقل طعوم الأشياء وألوانها وروائحها وملمسها وأصواتها على نحو حي.

قصيدة نيرودا الطويلة " إسبانيا في القلب ":

اختار ماهر البطوطي،مترجم جويس وهمنجواي ولوركا، أن يترجم لنيرودا قصيدته الطويلة"اسبانيا في القلب" لما لها من محورية في عمله. كانت الحرب الأهلية الإسبانية(1936-1939) بمثابة تمهيد للحرب العالمية الثانية، ونقطة لقاء أيدلوجيات متصارعة، نشأتْ من استهجان قادة الجيش لنمو الاتجاهات الاشتراكية والمعادية للكهنوت بين حكومة الجبهة الشعبية الجمهورية للرئيس آزانا. وبدأت بتمرد من جانب القادة العسكريين في مراكش الإسبانية في 18يوليو 1939. كان يقود المتمردين الجنرال سان خورخو(وقد قتل بعدها بشهرين) والجنرال فرانكو الذي بُويع "رئيسا للدولة الإسبانية" في أكتوبر 1936(انظر معجم التاريخ الحديث 1789-1945 تأليف أ.و، كتب بنجوين،ص 305) و يدعو نيرودا قصيدته "نشيدا لأمجاد الشعب المحارب"، مسجلا فيها فقر اسبانيا بسبب الأثرياء وتحالف الفاشية والكاثوليكية، وحالة مدريد في 1936، ومخاطبا أمهات المحاربين الموتى، ومتغنيا بوصول الفرقة الدولية إلى مدريد لمساعدة الجبهة الشعبية الجمهورية، ومعركة نهر الخارامه قرب مدريد، وواصفًا مشهد أرضٍ بعد معركةٍ، وممجدا جيش الشعب. ومثلما وضع دانتي أعداءه في حلقات الجحيم، في الجزء الأول من كوميدياه الإلهية، لا يتردد نيرودا هنا في أنْ يضع سان خورخو و موولا و فرانكو في دوائر الجحيم مستمطرا عليهم اللعنات.

" من كتاب التساؤلات أو " من كتاب الأسئلة ":

وفي "كتاب التساؤلات" أو" كتاب الأسئلة" تتّخذ القصائد شكل مجموعة متلاحقة من صيغ الاستفهام ، بينما يتوجّه نيرودا بقصائد أخرى لوداع باريس المدينة التي أحبَّها كثيرًا. كما يتوجّه بثلاث قصائد إلى ثلاثة شعراء هم

أراجون ولوركا ووتمانْ، ، بينما يخاطب بقصيدة رابعة محرّر أمريكا الجنوبية " سيمون بوليفار". وهناك إلى جانب كلّ هذا، قصائد حبّ تفيض غنائية وعذوبة. ومن وراء ذلك كلّه يستطيع القارئ أنْ يتخيّل أيديولوجية نيرودا التي لا يتزعزع إيمانها بالإنسان " كنتُ أشدَّ الشعراء عزلةً وكان شعري إقليميًا حزينًا ماطرًا . بيد أنَّنِي كنتُ دائمًا أثِقُ بالإنسان ولمْ أفقد الأمل أبدًا".

الانقلاب الفاشي على " سلفادور أليندي " ووفاة نيرودا :

كتبَ" ألكسْ لأجُومَا "(كاتب جنوب أفريقيا الشهير الذي كان صديقًا شخصيًا لـ " نيرودا ")، كتب يقول: " بينما كانت دبابات الفاشيين ومدافعهم تقصف قصر " لامونيدَا " في سانتياجو دي شيلي في 11 سبتمبر 1973، والرئيس سلفادور أليندي يموت ، كان أعظم شعراء شعب شيلي الذي خرج للمعركة يرقد مريضًا بصورة خطيرة ، في مستشفى قريب ، ربّما كان قد سمع دوي نيران المدافع وتذكّر زمنًا آخر قدّم فيه كثير من أبناء شعبه أرواحهم في النضال ضد الطغيان.."

مات " بابلو نيرودا بالسرطان بعد فترة قصيرة من موت صديقه الرئيس " أليندي " على أيدي عصبة الانقلاب العسكري.. وبموت نيرودا ، انطفأتْ أعظم مواهب الإنسانية التقدمية. إنّ نيرودا هو أكثر الشعراء في التاريخ رواجًا في العالم . وفي بلاده ، فإنّ عدد أبناء تشيلي الذين يحفظون أقوى أشعاره عن ظهر قلب ، وعدد أبناء أمريكا اللاتينية الذين يطابقون ويشبّهون أنفسهم به ، والذين استلهموا منه الشجاعة ، سيظلّ باقيًا بعد طغيان عصبة الانقلاب ..

لقد كان نيرودا شاعر الشعب الحقّ.وعلى الرغم من الرعب الفاشي في الفترة الأخيرة قبل وفاته وبعدها ، خرج الآلاف من أبناء تشيلي للسير في جنازته. وقد جنح البرجوازيون الذين سحرهم يومًا بأشعاره الثورية والتقدمية – جنحوا إلى محاولة تجاهل بابلو نيرودا ، ولكن هيهاتْ .؛ لقد كبُرَ على الرغم من ذلك بما لا يُقاس ، وتضاعف جمهوره في كلّ أنحاء العالم.. لقد فاض شعر نيرودا بعمق الوجدان وبالإخلاص والصدق ، بحيث إنَّ كلَّ إنسان يلمس هذا الشعر إنّما يلمس رجلًا ذا قدرة عجيبة وواسعة على التعاطف مع الإنسان وقضاياه الجوهرية . كما يلمس شخصية فذّة وإنسانية فرية وبطولية تمكّنت من أنْ تحيط بأعمق وأقوى القضايا في نضال الملايين في تشيلي وفي العالم قاطبة ..لقد كان نيرودا قبل كلّ شيء شاعر المقهورين..

وإذا كانت عصبة الانقلاب في تشيلي وأتباع الفاشيين قد كشفوا جميعًا عن الهمجية والقسوة المميّزة لأمثالهم ، بأنْ نهبوا بيت نيرودا في " إيسلانجرا - وهي قرية صغيرة عل ساحل المحيط الهادي- فإنّهم لم يستطيعوا محو كلماته وأشعاره التي ظلّ يرددها شعب تشيلي كمثل قوله:

أيّها الإخوة الذين سقطوا، من الصمت

سترتفع أصواتكم بصيحة الحرية

عندما يشتعل أمل الشعب في مدائح الفرحة

وقوله أيضًا:

لمْ أجيء لأجل أيّ شيء

جئتُ هنا كيْ أُغنّي

ولكيْ تُغنّوا معي..

.....